من تراثنا الحديث

المهدي بنبركة

نحو بناء مجتمع جديد (1958)

كيف يمكن أن يظل المهدي بن بركة حاضرا بيننا ؟ هل نقتصر على ترديد اسمه من مناسبة لأخرى، نحمله بين الشعارات ؟ أم أن هذا الحضور مشروط بنشر انتاجه واعادة قراءته ومساءلته ملتحما مع الممارسة التي كان مشعلها ؟ هذه الأسئلة تلح على جيل السبعينات تأكيدا، لأن الجيل الذي أفاق فجأة على حوادث 1965 واختطاف المهدي بن بركة في السنة ذاتها، أفاق على الاختيال والغربة والسؤال.

من باريس أتانا إختطافه ثم قيل لنا غيّب. قبل 1965 كنا أطفالا نلعب ونأكل الحلوى بين الأزقة، نطارد الشمس من جدار لجدار، نبغت المطر بالضحك والخوف والنوم. مع غيابه انكشف لنا سر غيابه/ حضوره، غادرنا اللعب وخرجنا. كيف نؤرخ لهذا الصوت، نختزل هذا الفعل ؟

لم تكن تكفي بجميل الوضوح، الصرامة، المواجهة، كانت القلوب تحن اليك، العيون تشتهي رؤيتك، وكنت لها الوعد. حاصروك. اختطفوك. كثرت التأويل. يكفي أنك علمتنا فضيلة حب التحرر، الانخراط مع الشعب في استقدام إحتفالنا، راحلا كنت بين الأزمنة، تهد لنا أن نفتح العصر، ولم تستسلم لما رأيته) عشته بجسدك.

اقتحم إغتيالك اطمئناننا، وها شتيت من الصور والنصوص والمواقف تتقدم لتلتئم الذاكرة، لنقترب منك أكثر، وماذا ينفعنا غير السؤال ؟ من بين هذا الشتيت نتوجه اليوم لنص من نصوصك، نعيد نشره، فلربما تكون هذه المبادرة البسيطة دافعا لجمع خطبك ونصوصك جملة الوثائق الممكنة حتى نعيد قراءتك، حتى يحضر بيننا وضوحك.

من الصعب الادعاء بأن هذا النص يمثل فكرك في مرحلته المتوجهة، ولئن كان تمكننا الراهن، فهو مسيج بتاريخيته، ونحن نعلم أنك تجاوزته فيما بعد، على أنه ضروري ونحن ندعو لجمع تراثك ونشره ودراسته. ولا ندعي أننا نؤرخ لهذا الصوت، نختزل هذا الفعل.

محمد بنيس

نريد أن نذكر الأسباب التي أفضت بالمغرب إلى الحماية بعد ما عاش القرون الطوال متمتعاً بالاستقلال، وان نستعرض مختلف الآفات التي حلت هيكله القوي المتين : من تفرقة مزقت وحدته، وقطعت أرحامه واضعفت شخصيته، وشعوذة أنهكت قوى أهله، وأوشكت أن تخمد في افئدتهم جذوى المقاومة والإباء، وفوارق جعلت منهم طوائف لا تتساوى في حق ولا واجب، فهذه الآفاق التي ألقت بالمغرب في هاوية، وهوت على الأجنبي امتلاكه، يجب أن تعرف فنحذر حتى لا تكون مصدراً لنكبة جديدة نشقى بها لا قدر الله كما شقينا بسابقتها قرابة خمسين سنة.

فنحن الآن بصدد بناء وإنشاء، وقد خرجنا من جهاد أصغر إلى جهاد أكبر، والعهد الجديد يقتضي منا مزيداً من الحذر والانتباه لنستبقي الحرية التي أهرقت في سبيلها دماء وأزهقت أرواح وعذب ابتغاءها رجال ونساء، وتقهقر اقتصاد ومازلنا نعاني آثار تقهقره إلى الآن، ولنصون الاستقلال الذي هو وسيلتنا إلى تنفيذ البرامج البناءة التي نستهدف بها حكما ديمقراطيا، وتوسعاً اقتصاديا، وتقدما ثقافيا، وعدالة اجتماعية، وإلى تحقيق مطامحنا الوطنية باستكمال وحدة تراب الوطن، وجلاء الجيوش الأجنبية عنه، وانشاء اتحاد أقطار المغرب العربي تشارك فيه الجزائر المحررة التي نغتنم الفرصة السانحة فنحيي كفاحها المجيد، ونستغفر لشهدائها الأحرار، ذلك القطر الذي سيعمل مع أشقائه لخير المغرب العربي قاطبة، ودعم السلم في حوض المتوسط وتقوية التعاون بين دوله وشعوبه.

فقرة من خطاب جلالة الملك محمد الخامس
يوم 20 غشت سنة 1958

حديث مرتجل للسيد المهدي بن بركة
مع مسيري فرع حزب الاستقلال بتطوان
بتاريخ 31 يوليوز 1958

بسم الله الرحمن الرحيم
أيها الاخوان الأعزاء :

بعد أن أحييكم سأشرع في موضوع حديثنا وهو : « نحو بناء مجتمع جديد »، وأود أن يكون هذا الحديث متبادلا بيننا لأن الأفكار التي سأعرضها عليكم اليوم تتصل اتصالا وثيقاً بحياتنا اليومية ومصير بلادنا.

ولعل الحديث في هذا الموضوع سيثير في نفوس البعض منا هذا التساؤل : هل نحن في حاجة الى بناء مجتمع جديد ؟ وهل المجتمع الذي نشأنا فيه وتغذينا بأفكاره لم يعد بعد مجتمعاً جيداً ؟

كثير من المواطنين يعتقدون بأن مهمتنا قد إنتهت بعد ما حصلنا على الاستقلال وبأننا أصبحنا نعيش حياة مثالية وفي مجتمع مثالي خال من كل العيوب، وهذا الاعتقاد يدعو لهذا التساؤل، وهذا التساؤل يدعونا بدوره لطرق هذا الموضوع ليكون الجواب شافيا وخاصة في ظروف تطالبنا بأن نشمر على ساعد الجد ونكافح كفاحا جديا أقوى من أي كفاح مضى.

مجتمعنا القديم

فاذا عدنا بخيالنا إلى خمسين سنة خلت ــ أو إلى ما قبل تلك المدة بكثير فإننا نجد أنفسنا وجها لوجه أمام مجتمعنا القديم. أمام مجتمع كانت تميزه عدة مظاهر. وكانت أهم هذه المظاهر وأقواها هي : الجمود مع الغرور.

ولقد ذهب هذا الاعتزاز بكل مغربي إلى اعتبار حياة مجتمعه نادرة المثال، وعلوم بلاده وفنونها لا شبيه لها في أي قطر ومعاملات بني قومه سامية قل ان يدركها بشر، كما دفع بنا إلى النظر إلى العالم وحضارته بعين الاحتقار، إذا فرضنا أننا كنا نرى العالم لأننا في الواقع كنا نعيش في قعر بئر وداخل ستار كثيف.

وكان من بين مظاهر مجتمعنا القديم أيضا الجمود والتعصب : فلا يكاد أي مواطن يدلي برأي جديد إلا ويتهم من طرف المثقفين ــ الذين كان يطلق عليهم لقب العلماء ــ بالزندقة وبالخروج عن الدين لأن هؤلاء العلماء كانوا يرون بأن الرغبة في إستعمال علوم دخيلة غير علومنا وفنون أجنبية غير فنوننا تعد نقصا من قيمة تراثنا الذي بلغت علومه وفنونه الدرجة القصوى من الرقي والتقدم، ولأنهم كانوا ينظرون إلى العالم الخارجي باقوامه وفنونه وعلومه وحضارته نظرة تنقيص وإحتقار ولقد دام مظهر الاعتزاز بالمجتمع ومظهر الجمود والتعصب ــ وما يتبعهما من مظاهر رجعية ــ مدة طويلة في مجتمعنا ولم ينته عهدهما إلا منذ ثلاثين سنة خلت.

أثر الاستعمار على مجتمعنا القديم :

فعندما إقتحم علينا الاستعمار ستارنا الكثيف أحدث في نفوسنا وأفكارنا هزة عنيفة جعلتنا نستيقظ تدريجيا من سباتنا، ونخرج من عزلتنا، وندرك بأنه يوجد عالم واسع غير العالم الضيق الذي كنا نعيش فيه متخلفين عن الركب ــ وانه توجد علوم وفنون أرقى من علومنا وفنوننا، وأفكار نيرة نفضت عنها كل جمود وتعصب ، واسلام حقيقي اكثر نصاعة وسلفية من الاسلام الذي ابتعناه محاطا بطبقة من القشور والخرافات وعبادة الاصنام.

وفي السنوات الأولى من عهد الاستعمار إكتشفنا بأن مجتمعنا لم يكن مجتمعا نادر المثال كما كنا نعتقد، لانه لو كان نادر المثال فعلا لما تمكن الفرنسي والاسباني ــ اللذين كنا ننظر إليهما وإلى جميع الأوروبيين بعين الاحتقار ــ من جعلنا عبيدا، ولما استطاعت الوسائل العلمية والفنية والحضارية التي لديه من التغلب على ما كان لدينا من وسائل.

وما العمل بعد الاستقلال ؟

ودفعتنا يقظتنا الى الكفاح ضد الاستعمار، وبعد كفاح سنوات طوال ظفرنا بالإستقلال، وفي عهد الاستقلال ماذا سنعمل ، هل سنعود ــ كأجدادنا ــ إلى الاعتزاز بمجتمعنا وننظر إلى العالم نظرة إحتقار ، هل سنرضى بالحياة في مجتمعنا الحالي كل الرضى وننزهه عن كل العيوب، أم سنشمر على ساعد الجد لنقوم ببناء مجتمع جديد ؟

صدمة تاريخية :

وفي الواقع لسنا بمسؤولين ــ ولا أجدادنا بمسؤولين ــ عن تلك النظرة التي كنا ننظر بها إلى العالم لأنها نظرة ناتجة عن صدمة في تاريخنا الوطني.

فعلى الرغم من ان المغرب كان عريقا في المجد، وكان مغذيا للحضارة الانسانية التي نقلت الى اوروبا الاسس التي بنى عليها فيما بعد التطور العلمي والفني في العالم، فإن إهماله لتراثه ــ كما أهملته شعوب الشرق العربي والشرق الاقصى ــ اضاع عليه الكثير من الفرص وجعله ينظر ــ كالصين ــ الى الاوروبيين نظرة احتقار، كما جعله يتلقى صدمة قوية عندما شنت عليه اسبانيا ــ بعد خروج المسلمين من الاندلس ــ حربا شعواء.

لقد تلقينا صدمة تاريخية عندما بدأت الحروب الصليبية في بلادنا عقب إنتهائها في الشرق العربي، ودامت مدة ثلاث مائة سنة جابه المغرب خلالها حروبا قاسية شنتها عليه دول إسبانيا والبرتغال وانجلترا وغيرها، وكانت هذه الحروب سببا في انقطاعنا عن العالم ، وبالتالي سببا في انقطاعنا عن العلم و عن التطور. وسببا في تحول الحرب ضد الجهل والجهادلرفع منار الحضارة والعلم الى حرب ضد المستعمرين الدخلاء وجهاد لرفع راية العزة والكرامة. وتحول قادة الفكر واقطاب العلم الى قادة حرب واقطاب عسكريين لمغرب اصبحت رقعته اذ ذاك عبارة عن معسكر كبير واصبح أبناؤه يقفون وقفة رجل واحد لرد جيوش الاجانب ولبناء الاسوار لجعل بلادهم حصنا منيعا على كل الدخلاء المهاجمين. وكانت هذه الاسوار وهذه الحصون تكون فعلا سدا منيعا لم يستطع الاجانب تجاوزه ، كما كانت في الوقت نفسه حاجزا للتطور والتقدم وللعلم الجديد الذي أخذت تشع أنواره في اوروبا، ولم يستطع اختراق هذه السدود وهذه الحصون سوى الغزو الاستعماري الذي تم في أوائل القرن العشرين.

عقدة نفسية :

وأثناء تلك الفترة الحربية الطويلة ضاعت على المغرب فرصة الاستفادة من الانقلابات والتطورات التي وقعت على أبوابه في عدة دول اوربية بسبب ذلك الستار الذي أحاط به نفسه دفاعا عن الاستقلال ، ووقع الجمود في الفكر المغربي ، كما تكونت لدى المغاربة عقدة نفسية ــ تكونت عن الرغبة القوية في الدفاع عن النفس ــ وهي نظرتهم الى العالم نظرة خوف وحذر وبالتالي نظرتهم الى كل ما هو اجنبي نظرة احتقار وازدراء الامر الذي جعلهم لا يفتحون أي مجال للثقافة الغربية.

ولم تكن هذه النظرة خاصة بالمغاربة آنذاك بل كانت هي نفس نظرة اليابانيين والصينيين الى الاجانب.

ولكن افكار الرجعيين اضاعت علينا ــ عند عودة بعثتنا العلمية الاولى ــ فرصة التطور والتقدم في نفس الوقت الذي اتاح فيه علماء اخرون لبلدانهم التطور والتقدم عقب عودة البعثات الى كل من الصين واليابان : ففي عهد السلطان مولاي الحسن ارسل المغرب

ـــ كما ارسلت اليابان والصين ـــ بعثة علمية الى الخارج تلقى أفرادها دراستهم في مختلف المراكز العلمية باروبا. و عندما عادت هاته البعثات الى أوطانها كانت بعثتا الصين واليابان سببا في تقدم هذين القطرين العظيمين حتى تمكنت اليابان إذ ذاك من خوض حرب ناجحة ضد انجلترا والصين اليوم من صنع قنابل تنتقل عبر قارات وكانت البعثة المغربية ضحية رجعية العلماء وبلاط القصر حيث اتهموا أفرادها بالكفر و الخروج عن الدين بسبب ارتدائهم للزي العصري مثلا وحلقهم للحاهم وتشبههم بالاروبيين.

حافز اساسي لبناء مجتمع جديد :

فهذه الظاهرة وعشرات أمثالها تعطينا فكرة عامة عن الحالة السيئة من التأخر التي كان عليها مجتمعنا في الفترة التي سبقت عهد الاستقلال، هذه الفكرة العامة هي التي دعتنا الى العمل ـــ عندما وجدنا ان المجتمع الذي خلفه لنا الاستعمار مجتمع فاسد وان واجب الاستقلال يفرض علينا إزالة بقاياه ـــ لبناء مجتمع جديد لنقضي على كل العلل التي بلتنا بالاستعمار لان إبقاء تلك العلل يكفي لان يجلب لنا استعمارا جديدا.

مجتمع متخلف :

لقد حافظ الاستعمار على بقايا مجتمعنا القديم بسبب سياسته التي كانت ترمي لابقاء ما كان على ما كان ، لقد وجد الاستعمار لدينا صناعة وفلاحة متخلفة عن صناعة وفلاحة العالم ، وجد كلًا من الصانع والفلاح يشتغل بوسائل بسيطة ويحصل على انتاج ضعيف ويعيش حياة قاسية بئيسة، فعمل ما استطاع لابقاء ما كان على ماكان، كما وجد المواطنين يفكرون في نطاق أفق ضيق يعملون بياض يومهم من اجل كسب قوتهم بعرق جبينهم ولا يفكرون في ضرورة تعليم أبنائهم والسهر على صحتهم لان حاجاتهم اليومية الماسة وتطلبها لكل وقتهم لا تدع لهم مجالا للتفكير في غيرها.
ومجتمع من هذا النوع يطلق عليه في الاصطلاح الاقتصادي اسم المجتمع المتخلف.

اضمحلال الثقافة :

وفي مجتمعنا القديم ايضا تجلت ظاهرة الجمود الفكري هذه الظاهرة المتولدة عن اقفال الفقهاء لباب الاجتهاد وانتشار العلم النقلي الذي لا يتجاوز دور اصحابه ـــ من حيث النقل الامين ـــ الدور الذي تقوم به الاسطوانة اليوم. وتحولت العلوم الرياضية من سلسلة مقدمات عقلية للوصول الى نتائج منطقية الى عدة طلاسيم اذ اصبح الموقتون مثلا يجرون عمليات سخيفة للوصول الى مطالب التوقيت دون فهم لاسرار تلك العمليات.

وكان العلماء قليلين جدا الامر الذي جعل تراثنا محصورا في طبقة معينة كانت تبخل بهذا التراث الذي كان ينقرض بعضه بانقراض المحافظين عليه ، وكانت تحرمه نهائيا على عامة أبناء الشعب وتحتكره لنفسها ولا تسمح به الا لطبقة خاصة.

عبادة الأصنام :

وهناك ظاهرة أخرى من تأخر مجتمعنا وهي عبادة الاصنام، وهذه العبادة ناتجة عن الأفق الضيق الذي كان يحصر التفكير المغربي، فقد بلغ اعجاب المغاربة ببطولة المجاهدين ضد الغزاة الاجانب من اسبان وبرتغاليين وانجليز درجة كبرى، حتى أصبح هؤلاء الاشخاص ـــ بعد وفاتهم ـــ محل عبادة وتقديس، وأصبحت أضرحتهم مقصدا لكثير من المواطنين واصبحت تقام لهؤلاء الابطال احتفالات سنوية خاصة ومنتظمة وأخذت الشعوذة تظهر في هذه الاجتماعات، ونشأ عنها تكوين فرق : حمادشة، وعيساوة، وغيرها وأخذ المشرفون على بعض هذه الطرق يدعون بان قطبهم قادر على تمكين المرأة العاقر من الولادة، كما يدعي اخرون بأن قطبهم قادر على معالجة المرض، وهكذا اخذ المشرفون على الطرق يتبارون في هذا الميدان فتعددت الادعاءات، وكثرت الخرافات، وأصبح بعض المواطنين يتكتلون حول القطب الذي تتصل به حاجاتهم.

بقايا المجتمع القديم في مجتمعنا الحاضر :

اذا كل هذه الظواهر التي رأيناها في مجتمعنا القديم لم تنعدم تماما من مجتمعنا الحاضر بل لا زال أكثرها قائما لان الاستعمار جعل من بلادنا متحفا وعمل بكل قواه على المحافظة على كل ما وجده من ادواء ومظاهر بالية :

فعندما كنا نحاول إحداث تطور في التعليم كان الاستعمار يقف في وجوهنا معارضا في احداث هذا التطور مدعيا ان ادخال اي تحوير على نظام التعليم في القرويين يعد ماسا بالدين الاسلامي، كما كان الاستعمار يعتبر كل مغربي اراد انشاء تعليم حر وتدريس مواد الحساب والجغرافية والطبيعيات خارجا عن الدين .

لقد كان هذا الادعاء وهذا الاعتبار صادرين عن «بونيفاص» وجماعته الذين أوقفوا أنفسهم «الدفاع» عن الاسلام.

وعندما كنا نحاول النهوض بالاقتصاد المغربي، وإزالة الفوارق الاجتماعية، والقضاء على التعصب المحلي والقبلي، كان الاستعمار يعترض طريقنا ولا يعمل فقط لابقاء هذه الامراض على ما كانت عليه بل يحاول تشجيعها واذكاءها كلما شعر بانها تتجه نحو الاضمحلال.

فكل هذه الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي عمل الاستعمار على ابقائها في مجتمعنا تبرهن على أن مجتمعنا الحالي مجتمع فاسد وانه في حاجة الى اصلاح.

الوعي السياسي :

الا انه لم يؤثر الاستعمار على ظاهرة مهمة من مظاهر مجتمعنا. وهذه الظاهرة، هي الوعي السياسي . ويرجع عدم تمكن الاستعمار من التأثير على هذه الظاهرة الهامة الى الروح

الوطنية التي كانت تملأ نفوس المغاربة طيلة قرون، والى ذلك الكفاح الوطني ضد الغزو الاجنبي الذي دام ثلاثمائة سنة، كما يرجع الى تأخر الاستعمار في التمكن من إخضاعنا — سنة 1912 — والى قصر المدة التي تمكن خلالها المستعمرون من التحكم في بلادنا.

فظاهرة الوعي السياسي قوية في مجتمعنا الحاضر ويمكن ان نقول انها أقوى عندنا من عدة دول عظمى.

رأيت كثيرا من الصحافيين الاجانب يندهشون عندما يرون أجهزة الراديو في جل الأكواخ ويكاد في كل بيت من بيوت مدن الصفيح في الوقت الذي لا يجدون فيه ولو سريرا واحدا في كل تلك الأكواخ والبيوت، مما يدل على ان العامل الفقير يقدم شراء جهاز للراديو — لارضاء متطلبات حاسته السياسية في الاطلاع على ما يجري حوله، وفي العالم من أحداث — على شراء سرير يجعله يتمتع بنوم مريح .

وتتجلى ظاهرة الوعي السياسي هذه لدى المغاربة في الوقت الذي نرى فيه الفرنسي أو الامريكي يشتغل بالسياسة مرة واحدة في بضع سنوات عند ما تحين انتخابات الرئاسة أو مجلس النواب.

فنحن مرتاحون لهذا الوعي السياسي المغربي كما نحن مرتاحون لحرص المواطن المغربي كل الحرص على حقوقه مدركا لواجباته كل الادراك.

الوعي الروحي والاجتماعي :

وكان لوجود الاستعمار اثر في صقل الافكار الجامدة وجعلها تفكر في احوالها وما يريده بها هذا الاستعمار، واول رد فعل وقع في ميدان التحرر هو قيام الحركة الوطنية السلفية — التي كانت تطوان وفاس والرباط وسلا ومراكش من بين منابعها الاولى — وهي التي ابرزت حقيقة الاسلام وجعلت تدعو المواطنين الى نبذ الخرافات والى التحرر من سلطة ادعياء الدين من رجال الطرق والشعوذة.

وعقب ظهور هذه الحركة السلفية تبدلت نظرتنا الى الدين واخذنا نزيل عن أذهاننا طبقة الخرافات والقشور التي تكونت فوق لب العقيدة الاسلامية المبنية على حرية المناقشة والتفكير، واعتقد بانه لولا وجود هذه الحركة المباركة لتنكر كل شبابنا — الذي تابع دراسته في اسبانيا وفرنسا — الى الدين.

فبفضل هذا الاحتكاك مع الاستعمار ظهرت الحركة السلفية التي بدلت نظرتنا الى الدين وحفظت شبابنا من الالحاد وجعلتنا نفهم الاسلام على حقيقته كما تجلى في دعوة جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده.

ومن الناحية الاجتماعية احدث استعمال القوة الكهربائية وقوة الالات البخارية إنقلابا في الصناعة الأوربية حيث تحولت من صناعة فردية إلى صناعة جماعية فوقعت هذه الثورة الصناعية في منتصف القرن التاسع عشر دون أن تتأثر بها صناعتنا ولم نعرف نحن هذه الثورة

الصناعية ولم نتأثر بها حتى أصبحنا تحت سيطرة الاستعمار الذي فتح الباب للرأسمال الاجنبي ، فتأسست المعامل وفتحت المصانع وأخذ العمال يتجمعون ويوحدون صفوفهم للمطالبة بحقوقهم والدفاع عنها.

وهكذا ترك بعض الفلاحين وأخذ أصحاب المصانع البسيطة الصغيرة ـــ المكونة عادة من رب المعمل وعاملين ـــ يتركون مصانعهم ويعملون بأجرة في المصانع الكبرى حيث القوة الكهربائية وحيث قوة الآلات البخارية.

ونتج عن هذا تطور اجتماعي وتفكير جديد وشعور بالحقوق والواجبات ادى الى خلق وعي اجتماعي اخذ مكانه بجانب الوعي السياسي الذي كان يتمتع به المغاربة منذ عهد ما قبل الاستعمار.

مجتمعنا الحاضر يحتاج الى تطور :

وبناء على ما ذكرنا فإن مجتمعنا كان فاسدا في عهد ما قبل الاستعمار وإن الاستعمار عمل على ابقاء الكثير من مظاهر ذاك المجتمع القديم، كما عمل على تحطيم بعضها عندما جمع حوله الدجالين من ادعياء الدين وعندما فتح الباب في وجه الرأسمال الأجنبي الأمر الذي أدى الى خلق وعي اجتماعي والى ظهور الحركة الوطنية السلفية. كما نرى بأن مجتمعنا الحاضر مخضرم يتكون من مجتمع ما قبل الاستعمار ومن مجتمع عهد الاستعمار.

ومهما يكن لون مجتمعنا الحاضر فإن نظرة دراسية اجتماعية عميقة ونظرة الى حالات الشعوب المتخلفة اجتماعيا مثلنا كافية للحكم بأن هذا المجتمع يحتاج الى تطور وبأن المغرب الجديد في حاجة الى بناء مجتمع جديد.

ولقد ادركنا كما ادركت الشعوب المتأخرة التي لها وضع كوضعنا بأن الاستقلال ليس بغاية في حد ذاته، وانما هو وسيلة للعمل الجدي من أجل بناء مجتمع جديد على انقاض مجتمع ما قبل الاستعمار ومجتمع عهد الاستعمار.

اذن مهمتنا الأساسية في عهد الاستقلال هي بناء مجتمع جديد فكيف سنبني هذا المجتمع الجديد ؟

كيف سنبني مجتمعا جديدا ؟

سنبني مجتمعا جديدا لأننا شعرنا ـــ ويجب أن نجعل كل مواطن مغربي يشعر ـــ بأن الواجب يفرض علينا تحقيق الرفاهية والسعادة والازدهار الفكري لجميع المواطنين، وان نجعل من بلادنا قطرا يقوم بدوره الانساني في ميدان التقدم الفكري والعلمي، ودولة تلعب دورها في العالم ومغربا يشع بالمعرفة والنور، واعتقد بأن كفاحنا من أجل الاستقلال سيفقد معناه ونفوسنا ستفقد قيمتها اذا نحن أخلدنا لراحة التقاعد واذا اصبح جل مواطنينا يتسارعون من أجل ايجاد مظاهر الرفاهية لا أقل ولا أكثر ...

إننا في حاجة اليوم الى خلق حماس في نفوسنا لا يقل عن ذلك الحماس الذي ملأها عند ما كانت الدعوة الى الصبر والى التضحية وتحمل السجن والنفي من أجل الوصول الى الاستقلال، اننا في حاجة لخلق حماس يجعل كل المواطنين يشمرون على ساعدهم لبناء مجتمع المغرب الجديد.

وستنعدم كل قيمة لعملنا كوطنيين اذا اعتبرنا الاستقلال غاية ولم نعتبره نقطة البداية ومفتاحا لخوض معركة أكبر من معركة الاستقلال وهي معركة بناء عهد الاستقلال.

لقد أصبحت لدينا الامكانيات لبناء المجتمع الجديد حيث نتوفر اليوم الى جانب الوعي السياسي على وسائل القوة البشرية وعلى حرية التصميم والعمل، وبقي علينا فقط تخطيط الطريق. وارى بأن من الأوفق أن يعرف كل مواطن بدقة الهدف الذي يسعى اليه لكي يتحمس الى السير نحو ذلك الهدف.

يجب أن نضع صورة تامة لمغرب الغد وأن نمكن جميع المواطنين من الاطلاع على هذه الصورة، وألا نكتفي بتغيير سطحي بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال، لأن استقلالنا ليس معناه تغيير القبعة بالطربوش واللغة الأجنبية باللغة العربية وانما يحتاج الى تغيير جذري يتناسب مع الكفاح الذي كافحناه من أجل الاستقلال.

لقد حصلنا على الاستقلال لا لتصبح وطنيتنا وطنية تصفيقات وهتافات بل لنعمل من أجل بناء مجتمع جديد ولنضع للمواطنين الصورة المرجوة لمغرب الغد ونحدد المراحل التي سيتم فيها بناء مجتمعنا الجديد ليعرف جميع المواطنين أهداف ما بعد الاستقلال ويعملون لتحقيق هذه الأهداف. وهذه الأهداف تتلخص في :

ـــ تحقيق الرفاهية والعدالة والمعرفة لجميع المواطنين.

ـــ تحقيق الازدهار الاقتصادي والفكري والاجتماعي في جميع أنحاء البلاد ليتمتع جميع المواطنين بخيرات بلادهم بعد ما ضحوا جميعا في تحقيق هذا الازدهار.

طرق العمل لتحقيق هذه الأهداف

تطور الفلاحة :

ان أول ظاهرة تتجلى في مجتمعنا هي الفقر وانخفاض مستوى المعيشة لأن معدل دخل المواطن المغربي لا يتجاوز عشرين ألف فرنك سنويا في البوادي لو قسم المدخول على التساوي بين الجميع.

وان السبب الرئيسي في هذا الفقر هو اعتماد بلادنا في اقتصادياتها على العمل الفلاحي الذي يشغل ثلاثة أرباع سكان بلادنا ولا ينتجون ربع الدخل الوطني العام، والسبب في هذا يرجع الى ان الأساليب والوسائل التي يستعملها المغاربة في الفلاحة بسيطة جدا، وان المعمرين الأجانب يستعملون طرقا علمية عصرية تؤدي الى وفرة الانتاج. ومن كل هذا ندرك بأن محاربة

هذا الفقر تفرض علينا تطوير الفلاحة باستعمال الوسائل العصرية للحصول على انتاج وثروة أكثر ليرتفع مستوى المعيشة ويتجاوز المواطن مرحلة كسبه لضروريات قوت يومه الى مرحلة ما يحتاج اليه المواطن المعاصر من حاجيات تتناسب مع الكرامة الانسانية ومع الحياة التي يحياها المواطنون في البلاد المتقدمة.

التصنيـــع :

وان تطوير الفلاحة وحدها غير كاف لمحاربة الفقر بل يجب التفكير في ايجاد سلاح آخر لمحاربته ـــ خاصة وان ارتفاع الانتاج الفلاحي له حد أعلى سيقف عنده وتبقى أيد بشرية عاطلة أو غير منتجة كل الانتاج. ولنذكر أن عددا من فلاحينا لا يشتغلون سوى بضعة أسابيع في السنة. لذلك يجب التفكير جديا في التصنيع.

وعندما نذكر التصنيع لا نقصد الصناعة التقليدية ـــ التي نريد لها التقدم والتطور المفعول ولكنها محدودة الأثر ـــ وانما نقصد الصناعة التي تجعلنا في مصاف الدول المتقدمة وتمكننا مثلا من ان نستغني عن جلب عدة بضائع من الخارج نصدر موادها الأولية خامة من بلادنا لتعود اليها مصنوعة.

تنمية الانتـاج :

ان تطوير الفلاحة والتصنيع سيعملان بصفة مباشرة لمحاربة الفقر ولتنمية الانتاج.

نجد بأن الدخل العام المغربي ـــ حكومة ومؤسسات خاصة ـــ يبلغ سنويا 500 مليار فرنك تقريبا فاذا قسم هذا المبلغ الى مجموع عدد السكان ـــ 10 ملايين ـــ فان حظ كل مواطن سيكون هو 50.000 ألف فرنك. ولكن هذا الرقم ليس بواقعي لأن ثلثي 500 مليار يوزع على ربع السكان ومن بينهم الأجانب الأمر الذي يجعل حظ المواطن المغربي المتوسط سنويا هو 20.000 فرنك فقط كما ذكرنا في أوائل هذا الحديث.

وهذا القدر الضئيل هو الذي يدعونا لضرورة العمل في آن واحد من أجل تنمية الانتاج لرفع مستوى المعيشة ومن أجل التوزيع العادل لمدخول الأمة.

التوزيـع العـادل :

وستكون الاجراءات التي ستتخذ لتوزيع الدخل القومي توزيعا عادلا سببا في رفع مستوى المعيشة لئلا يتخم البعض بنصيب وافر ويكاد يموت البعض الآخر من جراء ما يعانيه من حاجة ماسة لسد ضرورياته الحيوية لعدم كفاية نصيبه التافه لهذه الحاجيات.

وهنا يبرز الدور الذي ستلعبه الحكومة في هذا الصدد .

وليس معنى التوزيع العادل أن نزيل للملاك أملاكه لنسلمها لجيرانه الفقراء ، ولا ان

تنزع لارباب المصانع معاملهم، بل معنى التوزيع العادل أن تقوم الحكومة ــ مثلا ــ بفرض ضرائب مناسبة على الارباح والدخل الفردي فتتحصل من جراء هذا أموال للدولة يمكنها ان توسع الخدمات لفائدة المواطنين كجعل العلاج الطبي مجانا لطبقات شعبية أوسع وبوسائل تتحسن باطراد. فهذه اذن طريقة مشروعة ومنطقية لاحداث نقص نسبي من اموال الغني وجعله كتعويض نسبي لحاجيات الفقير، وما أصدق المثل الصيني الذي يقول :« اذا كان هناك طعام فلياكل منه الجميع ».

ان التوزيع العادل لا يعني القضاء على الملكية الفردية وانما يعني ان تراقب الدولة هذا التوزيع وتحميه من سيطرة الاقطاعية والاحتكارات الخاصة .

فعندما نحتاج الى تطوير الفلاحة عند صغار الفلاحين مثلا فان هذا التطوير يجب ان يتم بواسطة الحكومة حيث تشتري للفلاحين الجرارات وتقدم اليهم المساعدات المادية والفنية وتعمل على حثهم على التعاون ونبذ الروح الفردية وتناسي الحدود أثناء عملية الحرث ليتمكن الجرار من قلب مساحات مناسبة ولتتمكن الارض بعد ذلك من اعطاء انتاج مضاعف يفوق بكثير انتاج كل تلك الضيعات الصغيرة لو حرثها كل فلاح على حدة وبوسائله العتيقة عقب نزول الامطار الاولى

التعاونيات الفلاحية :

وان الهدف الذي نريد الوصول اليه من وراء جعل عملية جماعية للحرث هو تعويد الفلاحين على التعاون وعلى نسيان نظرتهم المتعصبة الى الحدود المحيطة بضيعاتهم لتتمكن الدولة بعد خمس سنوات من امداد كل جماعة من الملاكين الصغار بجرار ليصبح ملكا لهم مقابل التعهد بتنفيذ شرط واحد هو القيام بصيانته، وتكوين جمعية تعاونية تقوم بتوحيد التكاليف وتخفيفها وتكوين ميزانية عامة لهذه الجمعية ذلك ما سيساعد على خلق مجتمع متعاون متضامن. وسيحقق التعاون الذي سيحول ضعفهم الى قوة ويضاعف انتاجهم عدة مرات وسيؤدي الى رفع مستوى حياتهم.

والتعاونيات الصناعية :

ويجب ان يشمل نظام التعاونيات الميدان الصناعي ايضا. فلقد نشأت الصناعة في اوربا منذ 120 سنة وسيطرت عليها الرأسمالية واصبحت وسائل الانتاج ملكا خاصا لمجموعة من الافراد.

وفي المغرب لا توجد عندنا هذه المشكلة في الميدان الوطني لان أغلبية المتمولين الساحقة عندنا لا يملكون الا بعض الاراضي والبيوت يؤجرونها أو تراهم ينهمكون في التجارة غير المنتجة ولا يهتمون مطلقا بالتصنيع مما يدعو الدولة المغربية الى تبني مشاريع التصنيع الاولى في البلاد والقيام بها في نطاق واسع .

وفعلا لقد تأسس مكتب للتصنيع في وزارة الاقتصاد الوطني مهمته العمل على ايجاد الصناعات وتأسيس الشركات بمساعدة الاموال الاجنبية التي نحن في حاجة اليها ونشترط لجلبها شرطا أساسيا فقط هو الاحتياط من كل سيطرة سياسية مباشرة أو غير مباشرة .

ولكن لتوسيع نطاق التصنيع ببلادنا يجب ايجاد روح التوفير وتشجيع التعاونيات الصناعية التي تجعل المواطنين المغاربة يساهمون بأموالهم في تأسيس المعامل حيث تتكون قوة تعاونية جديدة في ميدان التصنيع تساعد على محاربة الفقر ورفع مستوى معيشة سكان هذه البلاد.

الاهتمام بشؤون التعليم :

وان من بين العوامل التي أوجدت مجتمعنا متأخرا إهمال التعليم ولهذا يفرض علينا واجب بناء مجتمع متقدم، الاهتمام بالتعليم للقضاء على الفقر الذي نعانيه من قلة المعلمين ومن ضعف الاطار الفني لتسيير شؤون البلاد.

ولايجب علينا الاهتمام بايجاد المعلمين وبتكوين الاطار الفني فقط بل يجب علينا ايضا العمل لاصلاح التعليم وتطويره.

فالدول لاتبني على مظاهر خرجية كالحفلات والحراقيات والاستعراضات فقط وانما تكون الدولة حقيقية عندما تتوفر على مجموعة كبرى من العلماء والباحثين والمهندسين الذين يسيرون شؤونها ويخرجونها من طور التبعية والعبودية الى التحرر الفعلي.

ولاضرب لكم مثلا بالفنيين الذين يسيرون الآن مرافق حياتنا. هل تعلمون أن بلادنا تتوفر على 2000 مهندس ليس فيهم مغربيا لحد الآن سوى 200 على اكبر تقدير مما يدل دلالة واضحة على ان المسافة بيننا وبين تكوين الاطار الفني لا زالت طويلة ؟

شروط النجاح

اذن فبتطوير الفلاحة وتصنيع البلاد وتنمية المدخول القومي وتوزيعه توزيعاًعادلا، وبايجاد التعاونيات في الميدانين الفلاحي والصناعي، وبتطوير التعليم والاسراع بتكوين الاطارات العلمية والفنية سنعمل على تحقيق اهدافنا ليتمتع جميع المواطنين بالرفاهية والعدالة والمعرفة ولتتمتع بلادنا بالازدهار الاقتصادي والفكري والاجتماعي.

الايمان بضرورة بناء مجتمع جديد :

ولقد ادركنا من خلال ما تقدم لنا من حديث باننا في حاجة الى بناء مجتمع جديد لان مجتمعنا الحالي لا يتناسب مع عهد الاستقلال. ويمكن لمعترض على هذا الرأي ان يقول : ان استقلالنا لا زال حديث العهد لم تمر على ميلاده سوى سنتين ونصف ولا زالت تنقصه

اركان مهمة كجلاء الجيوش الاجنبية عن ترابنا وتوحيد هذا التراب بعد اتمام تحرير باقي مناطقنا المحتلة من طرف كل من اسبانيا وفرنسا الامر الذي يجعل الشروع في هذا البناء سابقاً لأوانه .

واجابة على هذا الاعتراض اقول : اننا لا نريد ان نهيم في الطريق دون ان نعرف الهدف الذي نتجه اليه بل يجب ان نعرف الى اين نسير ونحدد الطريق ونؤمن بالاهداف التي نسعى اليها قبل بدء السير لتحقيقها. فنحن ندرك تماما بأنه ينتظرنا بذل مجهود كبير لتكون بلادنا في صف الدولة التي لها كرامة، وان من بين الاسس الرئيسية التي يجب ان تتوفر لدى دولة تشعر بكرامتها هو المجتمع الواعي الصالح ونظرا لعدم توفر مجتمعنا الحاضر على عناصر الصلاحية حسب ماتقدم ايضاحه من عوامل موروثة عن مجتمعنا القديم وعن الحكم الاستعماري، فان الواجب الوطني يفرض علينا الايمان بضرورة بناء مجتمع جديد، فاذا ما آمنا بضرورة بناء هذا المجتمع الجديد كافراد، ثم امنا به كحزب، فاننا سنجند انفسنا لتحقيق هذا البناء كما سنكون على يقين بان الامةبمجموعها ستتجند لهذا الغرض.

واعتقد بان بناء المجتمع الجديد هو جهادنا الاكبر ــ بعدما قمنا باداء فريضة الجهاد الاصغر اثناء المعركة التي خضناها لانتزاع استقلالنا ــ وان هذا الجهاد ليتطلب الكفاح العام من جميع المواطنين والعمل بحماس من أجل الوصول الى الاهداف وتقديم كل تضحية ممكنة في هذا السبيل.

مجتمع تقدمي متفتح :

أننا لا نعيش منعزلين في هذا العالم بل نعيش مع عدة شعوب كافحت مثلنا من أجل الاستقلال : الهند، الصين، اندونيسيا، مصر، العراق، ووجدت نفسها امام المشاكل التي وجدنا أنفسنا أمامها وعلى رأسها ضرورة بناء مجتمع جديد.

ويجب ان نقضي في عهد الاستقلال على روح الانعزال التي فرضها علينا الاستعمار في الماضي وان نؤمن بضرورة بناء مجتمع متطور تقدمي متفتح للتيارات المغذية لا مجتمع رجعي جامد، وان نكون على اتصال بتلك الشعوب التي تعاونا معها ايام محنتنا، وخاصة التي تربطنا بها أواصر التاريخ والجغرافية والحضارة، وان نكون معها رابطة قوية يساند بعض أعضائها البعض الآخر لنتمكن من اجتياز مرحلة الجهاد الاكبر بنجاح، ولنتمكن من السير في طريقنا لبناء مجتمع جديد.

وهنا يمكن ان يلقى علي من طرف احدكم هذا السؤال :
هل نضمن السير الناجح في هذه الطريق ؟

ان لنجاح السير في هذه الطريق الطويلة شروطا ضرورية لان الانقلاب والتغير لا يمكن وقوعه بين عشية وضحاها ــ ما دامت المعجزة غير ممكنة، وما دمنا لا نتوفر على عصا سحرية قادرة ان تحول بضربة واحدة جهلنا الى علم وتأخرنا الى تقدم ــ ويمكن ان نستنتج الشروط الضرورية للنجاح في السير، اثناء هذا الطريق الطويلة، من تجارب الأمم التي كانت لها وضعية مثل وضعيتنا.

فاذا ما ألقينا نظرة على هذه الأمم نجد أن هناك ثلاثة شروط أساسية كتب النجاح لكل أمة قامت بتطبيقها كما كان الفشل حليف من لم يجعلها أساسا لعمله الوطني.

انها شروط ثلاثة يجب ان يحققها كل شعب جعله الاستعمار متخلفا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وفكريا:

1 ــ التوفر على قيادة حكومية وشعبية مخلصة قوية حكيمة تفرض احترامها على المواطنين باخلاصها ونزاهتها وكفاءتها.
2 ــ وضع التصميمات لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعمل على تنفيد هذه التصميمات بدقة.
3 ــ مشاركة الشعب في وضع وتنفيد ومراقبة هذه التصميمات وذلك بواسطة المؤسسات الديموقراطية من مجالس قروية وبلدية ومجلس وطني منتخب.

القيادة القومية المخلصة :

يجب ان تتكون القيادة القومية الحكيمة المخلصة سواء في الحكومة أو المنظمات الشعبية من مواطنين حنكتهم التجربة ايام المحنة الوطنية واثبتت السنوات كفاءتهم ومقدرتهم على مواصلة السير نحو الاهداف التي تتطلب مصلحة البلاد العليا تحقيقها.

ومعنى القيادة الحكومية هي ان تكون الحكومة المسؤولة قوية في جميع مرافقها قوية بعمالها وبجيشها وبشرطتها ومحاكمها قادرة على تسيير شؤون البلاد تسييرا حازما منسقا دقيقا وعلى فرض احترام سلطتها على جميع المواطنين بحزمها واخلاصها ونزاهتها وعملها الجدي المتواصل.

التصميم للقضاء على التخلف :

رأينا انخفاض مستوى معيشتنا يفرض علينا العمل المتواصل لرفعه، يفرض علينا التكثير من الانتاج الفلاحي ويفرض علينا تصنيع البلاد وترقية الصناعة التقليدية ونشر التعليم وتطويره وتعميمه.

وفي قضية التعليم لا يمكن نشر التعليم وتطويره وتعميمه بدون وضع تصميم ــ فلا يعقل ان نستمر في بناء المدارس وفتحها لنسلم أبناءنا الى معلمين يمكن ان يقال عنهم بأنهم لا يفوق مستوى بعضهم مستوى تلامذتهم الا بقليل، لان القيام بعمل مثل هذا يعد من باب الاجرام ولأن جميع اولئك التلاميذ لن يتعلموا تعليما جيدا الامر الذي سيتضررون منه ويجعل آباءهم ينعتون التعليم في عهد الاستقلال بالضعف والانحطاط بينما التصميم سيساعدنا على الخروج من المأزق الذي نحن واقعون فيه الى حالة احسن في مدّة محدودة من الزمن.

كما ان تقديم ارضاء الحاجيات المعجلة يرجع الى ضعف امكانياتنا المادية. فحالتنا كحالة مريض ظهرت في جسمه عدة ادواء ــ داء الكبد وداء الامعاء والجلد الخ ــ واحتار في

امر معالجتها أو في اعطاء الاسبقية لاحداها وخاصة انه لا يملك من نفقات العلاج سوى 10.000 فرنك ـــ مثلا ـــ فاذا ما ذهب لعيادة طبيب وأخبره بادوائه وبما يملكه من ما لعلاجها فان أي طبيب عاقل لا يسمح له بانفاق جزء من المال على كل داء ـــ لان هذا التقسيم لا يفيد مطلقا أي داء ـــ بل يهتم باشد الادواء خطورة فيبدأ بمعالجته ثم يعالج الذي يليه خطورة وهكذا.

فالتصميم ضروري عند تعدد الادواء وقلة الامكانيات وهو الطريق الذي تسلكه عدة دول لضمان اصلاح تخلفها الفكري والاقتصادي والاجتماعي.

مشاركة الشعب بواسطة المؤسسات الديموقراطية :

بعدما تحدثنا عن الشرطين الاول والثاني نعود الان للشرط الثالث الذي يجب ان يتوفر للتمكن من بناء مجتمع جديد وهذا الشرط هو مشاركة الشعب في وضع وتنفيذ ومراقبة التصميمات، ويمكننا ان نتساءل ما هي الكيفية التي سيشارك بها الشعب في وضع وتنفيذ ومراقبة التصميمات.

ان هذه المشاركة ستكون بواسطة ايجاد المجالس القروية والبلدية و مجلس وطني منتخب يراقب تطبيق بنود الدستور ويراقب سير الحكومة ويحاسبها على أخطائها اذا ما ارتكبت اخطاء ويحقق التوازن المنشود بين الحاكمين والمحكومين. ولا يتأتى للشعب ان يشارك بهذه الصورة الا اذا كان منظما متكتلا داخل هيآته السياسية والنقابية المبنية على التربية الوطنية الصحيحة.

هل تتوفر هذه الشروط لدينا ؟

فهذه الشروط الثلاثة ضرورية لنتمكن من التخلص من مجتمع ما قبل الاستعمار ومجتمع عهد الاستعمار ومن بناء مجتمع جديد يضمن العزة والكرامة والرفاهية والازدهار لجميع المواطنين. لقد نجحت كل الدول التي اتخذت هذه الشروط اساسا لتحقيق هذه التطور وفشلت غيرها من الشعوب التي تهاونت في تحقيق هذه الشروط وظلت تتعثر في طريقها وتتلقى خلالها اقسى الضربات.

هل تتوفر بلادنا اليوم على هذه الشروط الثلاثة ؟.

ففيما يتعلق بالقيادة القوية الحازمة فاعتقد اننا لازلنا لم نتوفر عليها لحد الان، لان الحكومتين الاوليين كانتا مبنيتين على اساس توازن صوري، كما ان الحكومة الحالية ـــ التي تكاد تتكون كلها من اخواننا في الحزب ـــ لا تتوفر على الوسائل الكافية لمباشرة مسؤولياتها كاملة حتى تتمتع بالسلطة اللازمة في البلاد.

ويجب ان نكون يقظين للعمل على تحقيق هذا الشرط الضروري والا سنكون قلقين على مستقبل المجتمع الذي يجب ان تتوفر الشروط الثلاثة لبنائه واعتقد بان كل تهاون في تحقيق هذا الشرط سيجعلنا نسلك طريقا غير قويم.

وكان ذلك هو الباعث على المطالبة بهذا الشرط في بلاغ اللجنة السياسية بتاريخ عشرين أبريل 1958 عندما حددنا شروط قبولنا كحزب لتحمل مسؤولية الحكومة ولكن الحكومة لم تتألف وفق هذه الرغبة وبقيت مسؤوليتنا بسبب ذلك منقوصة اما فيما يتعلق بالشرط الثاني فاعتقد اننا نسير في طريق تحقيقه واننا قطعنا خطواته الاولى عند دراسة المجلس الوطني الاستشاري لتصميم سنتي 1958 ــ 1959 الذي يعتبر خير مقدمة نحو تصميم عام في ميادين الفلاحة والصناعة وتكوين الاطارات وضع ليمهد في مدة عامين تصميمات السنوات الخمس المتوالية فاذا ما نفذ هذا التصميم بدقة فسيحقق الهدف من وضعه ويجتاز بنا فترة الانتقال من عهد الاستعمار الى عهد الاستقلال كما سيمكننا من وضع يدنا على زمام اقتصادنا في السنوات القادمة.

اما فيما يتعلق بتحقيق مشاركة الشعب عن طريق ايجاد المؤسسات الديموقراطية وفق الرغبة المشتركة بين الملك والشعب فان تحقيق هذا الشرط لازال في طور المشاريع وله ارتباط بالشرط الاول ويتساءل كثير من المواطنين : هل يؤيد حزب الاستقلال ايجاد المؤسسات الديموقراطية ام لا ؟

وللاجابة على هذا السؤال اود ان اقول : ان حزب الاستقلال الذي عذب اعضاؤه العذاب الكافي من اجل الحرية لايمكنه مطلقا ان يكون ضد الحرية فحزب الاستقلال يؤيد ايجاد المؤسسات الديموقراطية وذلك بانشاء المجالس القروية والبلدية ومجلس وطني منتخب.

الشروط متماسكة الحلقات :

ولكن أريد أن أنبه الى ان تحقيق هذا الشرط الثالث يتأتى الا اذا حقق الشرط الاول لان ايجاد المؤسسات الديموقراطية قبل ايجاد قيادة قوية حازمة ــ تقطع دابر الخونة وتقضي على مناوراتهم وعلى كل مناورة اجنبية ــ قد يؤدي بالبلاد الى الفوضى والاضطراب فلا يمكن ايجاد المؤسسات الديموقراطية مادامت محاكمة عدي ويبهي لم تتم، وما دامت بعض المؤامرات لازالت تدبر وتشجع من بعض الجهات، وما دامت الحكومة لاتتوفر على سلطة حقيقية تامة في ميدان الشرطة بينما تتوفر امكانيات للايادي الاجنبية لانفاق الاموال من اجل نخر كياننا والسير بنا في طريق الفوضى والخراب. ان هذه الشروط الثلاثة تكون سلسلة متماسكة الحلقات فبدون قيادة حكيمة قوية حازمة لا يمكن ايجاد المؤسسات الديموقراطية، وبدون قيادة قوية ومؤسسات ديموقراطية لا يمكن تنفيد برامج اقتصادية واجتماعية بعيدة المدى.

الاداة الفعالة

لقد حصلنا على الاستقلال كوسيلة لتحقيق التقدم والتطور ولبناء مجتمع جديد سيحقق للشعب المغربي الرفاهية والازدهار الفكري والاقتصادي والاجتماعي ويخلق في البلاد روح التعاون التي تكسب القوة للضعفاء.

ولكن بناء هذا المجتمع يتطلب ايجاد قيادة قوية وتصميمات اقتصادية ومؤسسات ديموقراطية، وتحقيق هذه الشروط الثلاثة يتطلب خلق وعي يؤدي الى جعل طبقة هامة من الامة تشعر بهذه الحاجيات وبضرورة تحقيق هذه الاهداف، واننا اليوم في حاجة الى اداة فعالة لخلق هذا الوعي في الشعب ـــ كما كنا في حاجة في الماضي لاداة خلق الفكرة الوطنية ولنشر التربية الوطنية هذه الاداة التي قامت بالكفاح السياسي والكفاح المسلح والكفاح الثقافي.

واعتقد بان الاداة الجديدة يمكن ان تكون هي نفس اداة الأمس ولكن مع تغيير وسائل العمل لأن معركة اليوم غير معركة الأمس فلقد خضنا بالأمس معركة من اجل الاستقلال، ويجب ان نخوض اليوم معركة سلمية من اجل بناء مجتمع جديد، ولكن تلك الاداة التي كانت صالحة بالأمس للحزب يجب ان تتحول اليوم صالحة لوقت السلم.

لذلك فان هذه الاداة لن تكون صالحة الا بعد احداث تحوير فيها، لان حزب الاستقلال الذي صنع الابطال والمكافحين اثناء معركته مع الاستعمار، يجب ان يصنع الابطال والمكافحين لخوض المعركة من اجل بناء مجتمع جديد في مغرب جديد وسيكون مثله في هذا كمثل معمل أخذ ينتج في أيام السلم الجرارات والآلة الكاتبة بدل انتاجه للدبابات والآلات الفتاكة في أيام الحرب.

وهذا الدافع يجعلنا نشعر بضرورة احداث انقلاب داخل حزبنا لنجعله قادرا على القيام بمهمته الجديدة.

فينبغي ان يتكون لدى جميع العاملين الشعور بالحاجة إلى الانقلاب داخل الحزب لأن هذا الشعور سيجعلنا ندرك بأننا في طريق تحقيق هذا الانقلاب، فالواجب يفرض علينا ان نعمل لتكوين الأداة الجديدة التي تعد أبطال معركة بناء مجتمع جديد وهذه الأداة هي حزب الاستقلال بعدما يتجدد في تفكيره وأسلوبه وبرامجه. وان الشرط الأساسي لتحقيق هذا الانقلاب هو ضرورة العمل بنفس الروح الثورية التي كانت تملأ نفوس جميع المكافحين المخلصين أثناء معركتنا مع الاستعمار. لنتجند من جديد للعمل بحماس كبير من اجل بناء المجتمع الجديد والله ولي التوفيق والسلام.